

الاهوية والمياه والبلدان

لابي الطب ابقراط

استخرجهُ الى اللغة العربيَّة

الدكتور

شبلي شُميِّل

طبع في مطبعة المقتطف في القاهرة

سنة ١٨٨٥

تمهيد

أُبقراط المُكنَّى بابي الطب وُلِدَ في جزيرة كوس سنة ٤٦٠ قبل الميلاد على ما ذكر هيستوخاوس وذكر صورانوس الكوسي انهُ وُلد في ٢٦ من شهر اغريانوس من السنة عينها

والكتب المنسوبة لهُ لم تذكر الَّا من عهد مدرسة الاسكندريَّة فان هروفيلوس اول من شرح منها كتاب الانذار او تقدُّم المعرفة في اوائل القرن الثالث قبل الميلاد اي بعد ابقراط بنحو ١٣٠ سنة ولم تشتهر جدًّا الَّا على عهد جالينوس المولود سنة ١٣٠ للميلاد فانهُ

اعتنى بجمعها وضبطها بعد ان كادت تدرس قبلهُ واوشك طب ابقراط ان ينتسى لولاهُ حتى صارت بعدهُ المنهل الذي يستقي منهُ كل طبيب وقاعدة الطب القديم

وممَّن اعتنى بها جدًّا العرب على عهد الخليفة عبد الله المأمون ابن الرشيد سابع الخلفاء العباسيين في الربع الاول للقرن التاسع للميلاد فاستخرجوا اكثرها من الاصل اليوناني وعلقوا عليها الشروح واكثروا فيها التصانيف ولا نعلم اذا كانت هذه الكتب لا تزال في لغتنا على وضعها الاول لهذا العهد لانَّا لم نعثر منها الَّا على جزء حقير من كتاب الفصول ناقص كما علمنا من مقابلتهِ على النسخ المعوَّل عليها وانما نعلم ان كثيرًا منها متفرّق في كتب اطبائنا الاقدمين وموجود فيها احيانًا كما هو في الاصل كما يعلم من تصفح بعض فصول

من كتاب القانون لكبير حكمائنا وعظيم اطبائنا الشيخ الرئيس ابن سينا

ولا يخفى ان هذه الكتب كثيرة جداً انما ليست كلها له باجماع المحققين وقد عرف الشارحون ذلك منذ القديم اي منذ عهد مدرسة الاسكندرية وذهب بترسن في عصرنا الى ان الكتب التي لا مشاحة في انها له انما هي سبعة فقط وهي الكتاب الاول والثالث من كتب الامراض الوافدة والاجزاء الستة الاول من كتاب الفصول وكتاب الاهوية والمياه والبلدان وكتاب تدبير الامراض الحادة وكتاب جروح الرأس

ولا ريب ان كتاب الاهوية والمياه والبلدان هذا من اصح هذه الكتب نسبةً له ومن اجلها كذلك وهو نتيجة اختباره الواسع ونظره الدقيق في مواقع البلدان ولطبيعة الماء والهواء ولاختلاف الفصول من

الاثر في الامراض والخلق ومآلها وللحكومات كذلك من الاثر في الاخلاق وربما لامه المتأخرون على انه في تقرير نتائج اختباره لا يذكر كيف اتصل اليها ولا بأيّة طرق يمكن تحقّقها قال ليتري "ان ابقراط في ذكر مواقع البلدان يقول ان البلد المتعرّض للشمال مثلاً تكثر فيه ذات الرئة وسائر الامراض الحادّة ويعرض فيه تقيّح الرئة لاقل سبب ويقلّ فيه الرمد وان عرض كان يابساً شديداً يتلف العين بسرعة ويعرض لمن تحت سن الثلاثين رعاف شديد في الصيف قال وهذا منهاج ابقراط في هذا الكتاب واما اليوم فطريقتهم تختلف عن ذلك وينهجون في تقرير النتائج منهاج الاحصاء في تدوين الحوادث على مدى سنين كثيرة". ولا شك ان أثر هذه الاسباب في الانسان مهمٌّ جدًّا وتعليم ابقراط في ذلك من اعظم ما تركه لنا القدماء

ويظهر منهُ انهم كانوا كثيري الاعتناء بمثل هذه المباحث التي لم ينتبه لها المتأخرون كما ينبغي الآ من نحو ٢٥ سنة فقط قال ليتري في المجلد الثاني من كتب ابقراط المطبوع سنة ١٨٤٠ "ان هذا المبحث قد اعتنى بهِ المتقدمون اكثر جدًّا من المتأخرين مع ان هؤلاء اكثر اختباراً في طبيعة المواقع والمياه والفصول والاقاليم انما هم لا يستفيدون من ذلك وينبغي اعادة تأليف كتاب ابقراط في الاهوية والمياه والمساكن على اختبارٍ اوسع ونظر اعم للحصول على نتائج مختلفة اكثر وواضحة كذلك ... ونظر ابقراط في ما للاقليم من الاثر في الخَلق والخُلق يستحق التفاتاً خصوصياً وهو قريب جدًّا من نظر جفروا سنتيليار اليوم فجفروا يذهب الى ان اختلاف الحيوان انما هو من اختلاف العوامل المؤثرة فيهِ وابقراط يقول ان اختلاف الشعوب ناشئ عن

اختلاف التربة والاقليم» انتهى . الَّا انهُ قد مرَّ على
هذا القول نحوٌ من ٤٥ سنة قد أتَّسعت المعارف فيها
جدًّا واستقرَّ هذا المبحث على منهاج علمي وحصل
الغرض الذي اشار اليهِ ليتري باكثر مما كان يتوقع في
هذا العهد القصير اذ علم ما للاحوال الطبيعية من
الاثر في الخلق والاخلاق وتكوين الانواع من عهد
مذهب داروين وكثرت المصنفات الضخمة في ذلك
ايضًا الَّا ان قول ليتري ربما لا يزال لليوم صحيحًا في
بعضهِ لان هذا المبحث انما اتسع جدًّا في القسم الطبيعي
منهُ لا في القسم الطبي اعني من حيث اثر الاحوال
الطبيعية في الخلق والاخلاق لا في الامراض وربما
تفرغوا لذلك على منهاج داروين في مذهبهِ بعد فراغهم
من مبحث الجراثيم المحوَّمة عليهِ الافكار اليوم والمتجهة
صوبهُ الانظار واستقرارهم فيهِ على الحق الراهن منهُ

ولعلّ هذا البحث الخطوة الاولى نحوهُ لانهُ ان صحّ ان الجراثيم سبب الامراض وجب ان يبحث في ما يسببها من الاحوال الطبيعية كذلك وفي تحولاتها ايضاً وهو مبحث واسع جداً كثير الفائدة ولعلهُ لا يمضي طويل زمن حتى يلمع شهابهُ ويفتح للباحثين بابهُ

وابقراط يجعل سبب اختلاف البشر في الخلق والاخلاق من اثر الاقاليم والحكومات فقط ولا ريب ان اختلافات الفصول وطبيعة المكان ونوع الاحكام تؤثر جداً في احوال الامم وعوائدهم وخَلقهم واخلاقهم الّا انهُ ناقصٌ في بابهِ قال ليترِي "ان ابقراط يقول ان طبيعة الاقليم والشرائع هي التي تجعل اهل اوربا اشد نجدةً للحروب من اهل اسيا ومعلوم إنّا رأينا على تراخي الايام ان الفرس الذين غلبهم اليونان لم يقدر عليهم الرومان بعد ذلك وان اليونان ضعفوا جداً في عهد

سقوط سلطتهم وذبول شوكتهم ولمن العرب اتاهم يوم
كان لهم فيه نصرة في الحروب مبين وشرف يناطح السماك
بروقيه وعزٌ يطاول الاجبال . فمثل هذه الامثلة تكفي
لان تبيّن ان النجدة للحروب لا تختص باقليم دون آخر
وكذلك يقال عن الاحكام فان النجدة لا تتوقف عليها
كما انها لا تتوقف على الاقليم وانما تتوقف على النظام
وعلم الحرب فان نفرًا قليلين منظمين من الاسوجيين
ظهروا على الروس الكثيرين الغير المنتظمين في موقعة
بلتاوا والانكليز قد جنّدوا من الهنود جنودًا شديدة
البأس في سنين قليلة وقد كان للمصريين على عهد
محمد علي جنود باسلة فالاقليم والحكومات اثرها في
نجدة الحرب قليل والنظام والعلم هما اللذان يفعلان
كل شيء" انتهى : والظاهر ان ليتري في هذا المقال لم
يُصِب غرض ابقراط لو انه وقع في تمس ما آخذه به

من الانحياز الى جانبٍ دون آخر. نعم لا ينكر ان العلم من اقوى الوسائط المؤثرة في الانسان والمغيرة لاحوالهِ حتى ذهب بعضهم الى ان الانسان من يوم اتخذ الكساء وشاد البيوت واصطنع السلاح لم يتغير بدنهُ كثيرًا بما صار لهُ من الوسائط التي تمكن بها من ردع قوى الطبيعة وتحويل اثرها وصرفهِ الى غرضهِ الَّا انهُ لا ينكر ايضًا ان للاقليم الاثر الاول في ذلك وقد يضعف هذا الاثر بما يطرأُ عليهِ من الاسباب المحولة انما لا يزول كليًّا قط ولا شك ان الاقاليم التي تكثر تغيرات فصولها تؤثر في الاخلاق وتكسبها استعدادًا يجعلها اشد تنبُّهًا بحيث تنمو فيها صفة الشجاعة اكثر مما في الاقاليم التي تستوي فصولها وكذلك يقال عن الاحكام فان الامة الواقعة تحت الحكم الاستبدادي يؤثر ذلك في اخلاقها وتذل نفوسها حتى تصير اكثر جبنًا واسهل انقيادًا من

الامم التي لا تعرف شرائعها الاستبداد فان كان المراد بقول ابقراط (نجدة الحروب) النظام الجندي او النصر المترتّب عليهِ فربمّا كان مخطئاً انما ذلك لا يستفاد من كلامهِ والظاهر انهُ يريد بها الشجاعة والاقدام على الحرب ولا يخفى ان النظام الجندي والاقدام على التجنُّد يُفرَق احدهما عن الآخر كما يُفرَق النصر عن الفشل فالحرب بالنظام الجندي تدفع الانسان للقتال قهرًا دون رضًى كما تدفع الآلة للعمل والنصر فيها متوقّفة على الحكمة والتدبير وهما من العلم كما قال ليتري واما الاقدام على الحرب فهو اندفاعٌ طبيعي يثور في الانسان ويدفعهُ الى الخطر عن رضًى وربما لم ينظر في العواقب وذلك من صفة الاقليم ونوع الاحكام فابقراط لم يغلط من هذا القبيل وان كان قد اخطأ فخطاؤهُ انما هو لكونهِ قصر الاثر المذكور في الاخلاق على الاسباب

الطبيعية ونوع الحكومات فقط ولو قال الاسباب المعنوية لكان اتم واعم ولتناول ذلك الحكومات والاديان والعوائد والتعليم لان الانسان تتعلق فيه اسباب كثيرة جداً ما عدا الاقليم والحكومات وفي اعتبار تغير الانسان وتبدل الامم والممالك يجب اعتبار هذه الاسباب جملة لان لكل منها اثراً في تغيير امر سواه بحيث تتنوع الاختلافات الناشئة عن هذه الآثار الى ما لا نهاية له وربما لزم كذلك اعتبار الاسباب الفاعلة في تغيير الاقاليم نفسها كبادرة الاعتدالين وتغير محور الارض مما لا بد من اثره فيها على مر العصور المتطاولة

وقد وصف ابقراط في هذا الكتاب مرضاً يعرض للصقالب قال انهم يفقدون قوة الباه ويتخلقون باخلاق النساء ويتزيون بازيائهن ويشتغلون اشغالهن وذكره كثيرون قبل ابقراط هذا المرض ليفتنا فلك

"ان الزهرة غضبت على الذين نهبوا هيكلها في اصقلون من الصقالب فرمتهم هم ونسلهم بالمرض المؤنث فالحه هذا السبب ينسب الصقالب هذا المرض ويمكن للسياح الذين يذهبون الى بلادهم ان يروا هولاء الناس انتهى". وقد اختلفوا في حقيقة هذا المرض والمستفاد من كلام ابقراط انهُ فقد الباه وذكر اسبابهُ الطبيعية كما يرتئي وذكر طريقتهم في معالجتهِ ولا يظهر من كلامهِ انهُ ذكرهُ عن معاينة واخبار بل عن نقل الّا ان فقد الباه لا يوجب في صاحبهِ التخلّق باخلاق النساء كما ذكر ولعلهُ الابنه كما قال روزنبوم ووافقهُ ليتري لانهُ ينطبق على وصف هيرودوت في انتقال هذا المرض في النسل ولا يناقض قول ابقراط والظاهر من رواية تسليوس اوريليانوس ان الاطباء في القديم كانوا يعتبرون هذه العلّة مرضاً حقيقياً ينتقل في النسل بالوراثة.

ومن وصايا ابقراط في هذا الكتاب اجتناب المساهل والشق وكل المعالجات القوية في الاوقات التي يكون اختلاف الفصول فيها عظيماً وخاصة المدارين والانقلابين ولا شك انهُ نظر في ذلك الى ما يطرأ على البدن من الاهتزازات الشديدة في هذه الاوقات وربما كانت مراعاة ذلك شديدة الوجوب لما يكون حينئذٍ في البدن من الاستعداد لشدَّة التأثر بسبب الانتقال من فصلٍ الى آخر انما قلما ينظر اليوم الى ذلك في استعمال هذه الوسائط الشفائية . والحق ان طبيعة الامراض واستعداد البدن يختلفان جداً باختلاف الاوقات وباختلاف مزاج الفصول والسنين ايضاً بحيث تكون طبيعة المرض الواحد ردية في هذا الفصل او هذه السنة جيدة في غيرها وعواقب الجراحة ردية او جيدة كذلك كما لا يخفى على كل طبيب مارس

صناعتهُ وإن صَعُبَ عليهِ تعيين مثل هذا المزاج فميل البدن للتقيح مثلاً وتكوُّن الخراريج قد يشتد في بعض السنين او الفصول فكل شقٍ حينئذٍ قد يعسر برؤهُ

وقد تكلم ابقراط في هذا الكتاب ايضًا عن اختلاف المياه بالطعم والوزن وعن المياه المعدنية الحارَّة وعلَّل تكوُّن الملح والمطر والجليد والضباب تعليلاً طبيعياً ولم يرَ بشيءٍ فيهِ الاَّ وحاول تعليلهُ على هذه الكيفية باذلاً في ذلك جهدهُ وصارفاً اليهِ كل اعتنائهِ والسبب بيّن فان الامراض لم تكن اسبابها تعتبر طبيعية في تلك الاعصار البعيدة كما رأيت في ما مرَّ عليك من رواية هيرودوت عن مرض الصقالب وكما يُعلم كذلك من استبداد المعابد في تلك الايام بهذه الصناعة فلم يكن برؤها ممكناً طبيعياً وذلك من اعظم ما لابقراط من الفضل على الطب

واعلم ان هذا الكتاب كسائر كتب ابقراط لايخلو من تكرارٍ وتطويل وتقديم وتأخير وزيادة وحذف مما لا يسلم منهُ كتاب تداولهُ الناس وتناقلهُ النسّاخ زمانًا طويلًا . ولما كانت النسخة التي ضبطها العلّامة ليتري الفرنساوي اصح النسخ المعوَّل عليهـا جعلتُ اعتمادي عليها في استخراج هذا الكتاب الى لغتنا وقصدي اذاعة ما تضمنهُ من الفوائد بيننا . ولعلي لا اعدم من ابناء جلدتنا مَنْ يغض الطرف عن الهفوات في جنب ما يُحمد من الغايات

كتاب

الاهوية والمياه والبلدان

لابي الطب ابقراط

١ مَنْ اراد التعمّق في الطب فينبغي لهُ ان يفعل ما يأتي : اولاً ان ينظر الى فصول السنة والى اثر كلّ منها وحدهُ ليس فقط لان احدها يختلف عن الآخر لكن ايضاً لان التغيرات التي تعرض لكلٍّ منها تجعل فيهِ اختلافات عظيمة . ثم يتعرف ما هي الاهوية الحارة والباردة العامّة على كل البلدان اولاً ثم الخاصة ببلدٍ بلد . ويتعرف ايضاً صفات المياه التي تختلف في الخواص كما تختلف في الطعم والوزن . اذاً متى دخل

طبيبٌ الى بلدٍ لايعرفهُ ينبغي لهُ ان ينظر الى وقعهِ ونسبتهِ الى الرياح ومطلع الشمس لان اثرهُ يختلف بحسب تعرضهِ للشمال او الجنوب او الشرق او الغرب. ويتعرف جيدًا طبيعة المياه التي يستعملها السكان هل هي لينة او قاسية خارجة من اماكن مرتفعة صخرية او خشنة ملحة او اجمية . ويتعرف احوال الارض المختلفة فاما ان تكون معرّاة يابسة او غابية نزّة او منخفضة محترقة بحرارة شديدة او مرتفعة باردة. ويتعرف جنس معيشتهم أَمولعون هم بالخمرة والطعام الطيب والراحة ام نشطاء متعلقون على الاشغال البدنية يأكلون كثيرًا ويشربون قليلًا

٣ على ذلك ينبغي الاعتماد للحكم في كل شيء فالطبيب العارف باكثر هذه الاشياء او بجميعها ان امكن لايجهل عند وصولهِ الى بلدٍ لايعرفهُ لا الامراض الخاصة ولا طبيعة الامراض العامة فلا يتردد في

العلاج ولا يتمعّ في السقطات التي لا ينجو منها من لم يتعمق من قبل في هذه المسائل الجوهرية . وبالاستناد الى ذلك ينبئ كلما تقدم الفصل وتقدمت السنة بالامراض العامة التي ستنتشر بالبلد في الصيف او الشتاء وبالامراض التي قد تعرض لكل أحد بتغيير جنس المعيشة لانهُ بمعرفتهِ تغييرات الفصول وطلوع الكواكب وغيابها مع جميع احوال كلٍّ من هذه الظواهر لاجرم يقدر ان يعرف المزاج المستقبل للسنة . فبمثل هذا البحث والتقدم في معرفة الازمنة يكون الطبيب اعلم بكل امرٍ يحدث واعرف بحفظ الصحة ولا يكون قليل النجاح في تعاطي صناعتهِ . فان اعترض بان كل ذلك من متعلقات المتيورولوجيا فليس يصعب على المتامل قليلاً ان يفهم ان علم الهيئة غير قليل الفائدة للطبيب بل مهمٌ جدًّا لان حالة اعضاء الهضم تتغير مع الفصول

٣ وانا ابيّن بالتفصيل كيف يكون النظر الى كلٍّ من المسائل المار ذكرها والتعمق فيها . لنفرض مدينةً معرضة للرياح الحارَّة التي تهب بين شروق الشمس الشتوي والغروب الشتوي محجوبة عن رياح الشمال فمياهها تكون غزيرة مَلِحَة قليلة الغور . ولذلك هي حارة في الصيف باردة في الشتاء ورؤُوس سكانها رطبة بلغمية وبطونهم دائمة الاختلاف بسبب البلغم النازل من رؤُوسهم وابدانهم مسترخية وشهواتهم للطعام والشراب ضعيفة ويعظم خمارهم من الشراب لضعف رؤُوسهم واما امراضها المستوطنة فاولاً نساؤُها ضعاف ومتعرضات للانزفة ثم ان اكثرهنَّ عواقر لرداءة صحتهنَّ لا من طبعهنَّ ويكثر فيهنَّ الاسقاط وفي الاطفال التشنج والربو اللذان هما فيما يظن سبب مرض الاطفال اعني الصرع ويعرض للرجال اختلاف الدم واستطلاق البطن

وحميات يجتمع فيها حرٌّ وبرد والحميات الطويلة
الشتوية وبثور ليلية والبواسير وتقل فيهم ذات الجنب
وذات الرئة والحميات الحارَّة وسائر الامراض الحادَّة
لكثرة استطلاقاتهم ويصيبهم رمد رطب سريع التحلل
ما لم ينتشر انتشارًا عامًّا بسبب اختلاف في الفصل .
واما الرجال ممن جاوز الخمسين فيعرض لهم الفالج من
نوازلهم اذا ضربتهم الشمس بغتة على راسهم او اصابهم برد .
تلك هي الامراض المتعرض لها سكان هذه الاصقاع ولم
نتعرض للامراض العامة التي قد تنشأ عن اختلافات
الفصول والمعرضون لها هم ايضًا

٤ والبلدان المعرضة للضد من ذلك
المستورة عن ريح الجنوب وعن سائر الرياح الحارة
والمكشوفة للرياح الباردة التي تهب بين الشروق
الصيفي وغروبه لها الخواص الآتية . مياهها غالبًا قاسية

باردة ورجالها اشداء يابسون يعسر اسهالهم ويسهل قيئهم ويغلب في سكانها المزاج الصفراوي على البلغمي ودماغهم صحيح يابس وتكثر فيهم الانصداعات الباطنة وذات الجنب وسائر الامراض الحادّة لان البطن اذا كان يابسًا فلا جرم يعرض لكثيرين تقيح الرئة لاقل سبب وهذا ناشئٌ من صلابة البدن ويبوسة البطن لان يبوسة المزاج وبرودة الماء تعرّضان العروق للانصداع ومن كان هذا مزاجهُ فشهوتهُ للطعام شديدة وللشراب ضعيفة وليس يكون شديد الشهوة للطعام والشراب معًا . والرمد يعرض لهم في النادر وان عرض كان يابسًا شديدًا ويتلف العين بسرعة ويعرض في الصيف لمن تحت سن الثلاثين رعافٌ شديد واما الصرع فقلما يعرض لهم وان عرض كان قويًا ومن مقتضيات هذه المساكن طول العمر ولا تترهل القروح فيها ولا

تخبث ولا يعسر برؤها ويغلب في اهلها شراسة الخلق على لينهِ . تلك هي الامراض التي تعرض للرجال ولم نتعرض لذكر الامراض التي قد تخالطها بتغيير الفصول .
واما النساء فقساوة الماء وخشونتهُ وبرودتهُ تجعل بدنهنَّ قاسيًا والطمث فيهنَّ عديم الانتظام وغير صحيح فيقل وتخبث طبيعتهُ وتعسر ولادتهنَّ وقلما يعرض لهنَّ الاسقاط ويصعب عليهنَّ تغذية اطفالهنَّ لقلة البانهنَّ لقساوة الماء وخشونتهِ وقد يعرض لهنَّ السل بعد الوضع الذي قد يسبب تمزقًا وانصداعًا لعسرهِ ويعرض للصبيان ادرة الماء وتزول مع الكبر ويبطئ البلوغ في هذا المكان . فهانذا قد بينت فعل الرياح الحارة والباردة وحال البلدان المعرَّضة لها

٥ وانتقل الآن الى البلدان المعرضة للرياح التي تهب بين الشروق الصيفي والشروق الشتوي والى

ما هو بالضد من ذلك. فالمعرضة للشرق هي بالطبع
اصح من المعرضة للشمال او الجنوب وان لم يكن الميل الآ
غايةً واحدة فاولاً حرها وبردها اخف ثم ان المياه
الشاخصة ينابيعها الى الشرق هي ضرورةً صافية حسنة
الرائحة لينة ولذيذة لان الشمس عند شروقها تبدّد عنها
الضباب الذي يكدر صفو الهواء في الصباح فتصلحها
وسكانها احسن لونًا واصح بدنًا الّا لعلّةٍ واصواتهم
صافية وهم انهض همة واذكى عقلاً من سكان الجهات
الجنوبية وسائر ما فيها اصلح حالاً منهُ هناك. فالبلد الذي
هذا موقعهُ اشبه بالربيع لاعتدال حرهِ وبردهِ وامراضهُ
قليلة خفيفة انما لها بعض المشابهة بامراض البلدان
المعرضة للرياح الحارة ويكثر للنساء فيهِ الحمل ويسهل
وضعهنَّ

٦ واما المدن المكشوفة الى المغرب المستورة

عن الرياح الشرقية والتي قلما توافيها الرياح الحارة
الجنوبية والباردة الشمالية فهي اردأ ما يكون للصحة بسبب
موقعها اما اولاً فلان مياهها غير صافية بسبب الضباب
الذي ينتشر في الهواء منذ الصباح فيمتزج بالماء ويكدره
لان الشمس لا توافيها الّا بعد ارتفاعها في الافق كثيرًا
واما ثانيًا فلانهُ تهب في صباح ايام الصيف نسمات
باردة ويسقط الندى وفي باقي النهار اذ تتقدم الشمس الى
المغرب تنبعث منها حرارة محرقة فلذلك كان سكانها
صفر الالوان مساقيم معرضين لجميع الامراض المار
ذكرها وليس يختص بهم مرض دون آخر واصواتهم
خشنة باحة لرداءة هوائهم الذي لا تصلحهُ رياح الشمال
التي قلما توافيهم والرياح الغالبة عندهم رطبة جدًا تلك
هي طبيعة رياح المغرب فالمدينة المعرضة لذلك تشبه
الخريف لشدة التغيرات التي تحصل في اليوم الواحد

فان الفرق بين الصباح والمساء فيها عظيمٌ جدًّا. ذلك ما يعلم عن الاهوية الصحيحة والرديئة

٧ أُريد الآن ان ابسط الكلام على المياه وابين ما هو الردي والجيد منها واي ضرر او اي نفع يحصل عنها لان تاثيرها في الصحة عظيم. فالمياه الراكدة اجميَّة كانت او مياه برك تكون ضرورةً في الصيف سخنة غليظة وكريهة الرائحة ولكونها غير جارية انما آتية من المطر ولتسخنها بحرارة الشمس هي كدرة مضرة بالصحة صالحة لتوليد المرار وفي الشتاء تتكدر بالثلج والجليد فتصير صالحة لتوليد البلغم والبحوحة ويصيب شاربيها ضخامة الطحال وصلابتهُ ويرق بطنهم ويحتبس ويسخن وتقضف منهم المناكب والرقاب لما يقل من غذائهم بسبب الطحال وهذا هو سبب هزالهم ويغلب عليهم شهوة الجوع والعطش ويعسر قيئهم وتحتبس

بطونهم بحيث يحتاج في اسهالهم الى ادوية قوية وهم اعلاَّء
صيفًا وشتاء ويكثر فيهم الاستسقاء فيشتد عليهم الخطر
لانهم في الصيف معرضون لاختلاف الدم وإزلاق
الامعاء ولحمى ربع طويلة وهذه الامراض اذا طالت
تنتهي في مثل مزاجهم بالاستسقاء والموت . واما في
الشتاء فالاحداث منهم ربما وقعوا في ذات الرئة
والجنون ويكثر في مشايخهم الحرقة ليبس طبائعهم وفي
نسائهم التورم والاستسقاء اللحمي ويعسر عليهنَّ الحبل
والولادة جميعًا ويلدنَ اجنَّةً متورمين ولكنهم يهزلون في
زمن الرضاع والدم الذي يعقب الوضع لا يتم فيهنَّ على
نوع حميد ويكثر لصبيانهم الادر ولكبارهم الدوالي
وقروح الساق بحيث يستحيل طول العمر في مثل ابدانهم
فيهرمون قبل وقتهم ويكثر في النساء الحبل الكاذب
فاذا جاء وقت الولادة انصرف كبر البطن وهذا الحبل

الكاذب ناشئ عن استسقاء الرحم . وعندي ان هذه
المياه مضرة كيفما كان استعمالها واضرمنها المياه الآتية
من الصخور لقساوتها او من ارضٍ مياهها سخنة حديدية
او نحاسية او فضية او ذهبية او كبريتية او شبية او قاريَّة
او نطرونية لحرارتها فمياه مثل هذه الارض غير موافقة
لانها قاسية سخينة يعسر مرورها بالبول وتحبس البطن
واحسن المياه المياه التي تصب من اماكن مرتفعة وانجاد
الارض فانها عذبة صافية ويطفو عليها النبيذ الخفيف
وهي تسخن في الشتاء وتبرد في الصيف وذلك دليل على
انها آتية من اعمق الينابيع واجودها ما كان ينبوعهُ الى
الشرق ولاسيما الى الشروق الصيفي فانها صافية
حسنة الرائحة وخفيفة واما المياه المرة المالحة القاسية فلا
تصلح للشرب الاَّ في احوال خصوصية ساذكرها . ومما
يؤثر في مياه الينابيع اتجاهها وافضلها ما كان الى الشرق

ثم الجارية بين الشروق الصيفي والغروب الصيفي
وهذه كلما اقتربت الى الشرق كانت افضل ويليها
الجارية بين الغروب الصيفي والغروب الشتوي
واردأها الجارية الى الجنوب والجارية بين الشروق
والغروب الشتويين رياح الجنوب تزيدها رداءة
ورياح الشمال تخفف رداءتها . واما من خصوص
استعمال مياه الينابيع فعليك بالقواعد الآتية وهي ان
الانسان الصحيح الشديد لايحتاج الى تدبير خصوصي
فيقدران يشرب من حاضر الماء واما من كانت صحتهُ
تحتاج الى تدبير فعليهِ بالاحتياطات الآتية فان
كان في اعضاء هضمهِ يبس واحتراق فيوافقهُ من المياه
اعذبها واخفها واصفاها فان كانت مسترخية رطبة
وبلغمية فيوافقهُ من المياه اقساها واخشنها مع ملوحة
قليلة فيها لذهابها بما زاد من الرطوبة . وافضل المياه

للنضج والتحليل المياه التي تطلق البطن وتغسلهُ والمياه الخشنة القاسية التي لاتصلح للنضج تزيد احتباس البطن ويبوستهُ وربما وهم من كان قليل الخبرة بحقائق المياه الملحة فظنها مطلقة الاحتباس والحال انها تضر بانتظام الطبيعة لانهُ يغلب معها قبض البطن على استرخائهِ لخشونتها ولعدم موافقتها للنضجِ . ذلك ما يلزم اعتبارهُ في مياه الينابيع

٨ وانتقل للبحث في مياه المطار والثلج فمياه المطر اخف المياه واعذبها وارقها واصفاها لان الشمس انما تجذب من الماءِ ما كان ارق واخف ويدل على ذلك تكون الملح فالجزء الملح لكثافتهِ وثقلهِ يبقى ويكوّن الملح والجزء الارق لخفتهِ تجذبهُ الشمس وهذا الجذب لايقتصر على مياه الآجام بل يعم البحر وكل سائل والسائل موجود في كل شيء فالشمس تجذب ايضًا

ارق جزء في سائلهِ واخفهُ والدليل ان الانسان
اللابس اذا مشى او جلس في الشمس فاعضاء بدنهِ
المكشوفة للشمس لا تعرق لان الشمس تذهب بالعرق
كلما تكوَّن واما الاعضاء المستورة بالثياب فتتندى
لان العرق المتكوّن على سطح البدن بحرارة الشمس
يبقى محفوظًا بالثياب ولا يتبرَّد فاذا جلس في الظل
تندَّى بدنهُ جميعهُ بالسواء لامتناع عمل الشمس على
ان اقل المياه ثباتًا مياه المطر فتنتن رائحتها لانها اكثر
المياه امتزاجًا وهذا الامتزاج يسرع فسادها ولكن من
جهة اخرى الماء المجذوب والمحمول الى الطبقات
العليا ينتشر في الهواء ويمتزج بهِ فيفقد اجزاءهُ الكثيفة
الكدرة التي تصير سحبًا وضبابًا ويحفظ ارق اجزائهِ
واخفها التي تتلطف بتسخين الشمس لها وطبخها اياها
ومعلوم ان طبخ كل شيء يلطفهُ دائمًا وما دام هذا الجزء

اللطيف مبدّأ وبدون تكثيف يبقى منتشرًا في اعالي الهواء حتى يفاجئهُ من الرياح المتقابلة ما يجمعهُ ويكثفهُ فينحدر من المكان الذي يكون فيهِ التكاثف اعظم فان المطر يتكوّن كلما تصادمت بغتةً غيوم تسوقها ريح بغيوم اخرى تسوقها ريح متقابل والتكاثف لا جرم يحصل اولاً في نقطة الاصطدام ثم تتجمع الغيوم المتأخرة وتتلبد وتظلم وتتكثف فتتساقط لثقلها مطرًا ولذلك كانت مياه المطر افضل المياه لكن يلزم اغلاؤُها لمنع فسادها والاَّ فتنتن رائحتها وتبح اصوات شاربيها وتصير خشنة ومياه الثلج والجليد كلها رديئة فان الماء اذا جمد فقد ما لهُ من الصفاء والخفَّة والعذوبة ولا يبقى منهُ الاَّ ما هو اشد كدورةً واثقل كما يتضح لك من الامتحان الآتي: ضع في الشتاء قدرًا معلومًا من الماء في اناء وضع الاناء في مكان الى ان يجمد الماء فيهِ كلهُ ثم في الغد انقل

الاناء الى مكانٍ حارحتى يذوب الجليد وبعد الذوبان
كيّل الماء ثانيةً فتجدهُ نقص جدًّا وذلك دليل على ان
جمود الماء يطيّر ويبدد اخف اجزائهِ وارقها وليس
اثقلها واكثفها وهو مستحيل وبناء عليهِ فانا اعتبر مياه
الجليد والثلج وما اشبه اردأ المياه لاي استعمال كان .
ذلك ما خص مياه المطر والجليد والثلج

٩ الحصى والرمل وعسر البول وعرق
النسا والفتق تكثر في البلدان التي يشرب سكانها مياهًا
مختلفة الطبائع كمياه الانهر العظيمة التي تصب فيها انهر
اخرى ومياه البحيرات التي تصب فيها جداول من كل
نوع وجميع المياه ذات المجاري القاسية فتختلف طبائعها
لبعد مجاريها فالمياه الواحدة لا تشبه الاخرى فبعضها
عذب وبعضها ملح اوشبي وغيرها يأتي من ينابيع سخنة
فبامتزاجها بعضها مع بعض تتضاد صفاتها و يتغلب

اقواها والمياه الواحدة ليست الاقوى دائمًا بل تارةً تقوى
هذه وتارةً تقوى تلك بحسب فعل الرياح وبعضها
يقوى بريح الشمال وبعضها بريح الجنوب وهكذا. ويرسب
من هذه المياه ضرورةً وحل ورمل وشربها يولّد
الامراض التي ذكرتها الا في جميع الناس على حدٍ سوى
وهاك السبب فان الذين طبيعتهم لينة وصحيحة ومثانتهم
غير محترقة وعنقها غير متضيق جدًا يبولون بسهولة فلا
يتجمع في مثانتهم شيءٌ لكن متى كان في البطن احتراق
فالمثانة تشترك ضرورةً معهُ بهذه العلة فتتسخن اكثر
من العادة ويلتهب عنقها فلا يدفع البول فيبقى فيها
تحت فعل الحرارة الزائدة فينفصل منهُ جزءهُ الرقيق
ويدفع الى خارج المثانة والجزء الغليظ الكدر يتكثف
ويتصلّب فتتكون اولاً نواة حقيرة تتعاظم شيئًا فشيئًا
بانضمام رواسب البول الغليظة اليها وهكذا يكبر حجمها

وتتصلب وعند التبول تندفع الى جهة عنق المثانة فتمنع
خروج البول وتحدث المًا شديدًا فيفرك الصبيان
المصابون بالحصاة القضيب ويشدونهُ ظانين ان في
ذلك ما يدفع البول. والدليل على ان الحصاة تتكون
بالترسب هو ان المصابين بها يدفعون البول رايقًا جدًّا
والجزء الغليظ الكدر يبقى في المثانة ويتكثف فيها هكذا
يتولَّد هذا المرض في اكثر الاحوال . وتتولد الحصاة
في الاطفال من اللبن ايضًا اذا كان اللبن غير صحيح
اي كان حارًّا وصفراويًّا لانهُ يحدث احتراقًا في اعضاء
الهضم والمثانة فيحترق البول وتحصل فيهِ تغيرات تكون
نتيجتها تكوُّن الحصاة وعندي انهُ يلزم لاجل ذلك ان
يسقى الاولاد الخمر المزوج بكثير من الماء فان هذا
الشراب قلما يحرق العروق وييبسها. والصبيان معرضون
للحصاة اكثر من البنات لان مجرى البول فيهنَّ اقصر

واوسع فالبول يخرج منهن بسهولة واذا عرض لهن مرض الحصاة فلا يفركنَ اعضاهنَّ التناسلية ولا يلمسنَ صماخ مجرى البول وهذا المجرى يصب فيهنَّ بقرب المهبل واما في الذكور فهو غير مستقيم واضيق ثم ان البنات يشربن اكثر من الصبيان فهذه تقريبًا اسباب الفرق بينهم

١٠ توجد علامات منها تُعرف السنة أتكون ردية ام جيدة فاذا لم يقع ادنى اختلاف في العلامات التي ترافق طلوع الكواكب وغيابها وهطلت امطار في الخريف وكان الشتاء معتدلاً لا خفيفًا جدًّا ولا باردًا كذلك وكانت الامطار في الربيع والصيف كما يلزم ان تكون فيها فلا جرم تكون مثل هذه السنة صحيحة جدًّا وان كان الربيع مطيرًا وقد ورد على شتاء يابس شمالي كثرت في الصيف الحميات والرمد

واختلاف الدم لان الحر المفلفل اذا ورد على ارضٍ لم
تزل ندية بمطر الربيع وبريح الجنوب فيكون للتسخين
مصدران احدهما في الارض الندية المسخنة والثاني في
الشمس الشديدة الحرارة وزد على ذلك ان البطن لا
يكون قد اشتد بعد ولا الدماغ قد تنقّى من الرطوبات
لانهُ يستحيل في ربيع كهذا ان لا يكون البدن واللحم
متشربين رطوبة فتكثر الحميات الحادّة ولا سيما في
المبلغمين ويعرض للنساء ولاصحاب المزاج الرطب جدًّا
اختلاف الدم فان حدث في صيفهم وقت طلوع الشعرى
مطر وهبّت شمال وثارت زوابع رُجي خير وتحللت
الامراض وكان الخريف صحيحًا والاَّ فيكثر الموتان في
الاولاد والنساء بالامراض المتسلطة ومن ينجو منهم يقع
الى الربع ومن الربع الى الاستسقاء ويقل الضرر في
المشايخ وان حدث في شتائهم مطر وهبت جنوب وكان

البرد خفيفًا وفي ربيعهم يبس وهبت شمال وكان البرد
شديدًا كثر الاسقاط في الواضعات ربيعًا والضعف
والسقم والموتان في اطفالهنَّ اذا وضعنَ في وقتهنَّ تلك
هي العلل التي تعرض للنساء خاصةً ويعرض لسائر
السكان اختلاف الدم والرمد اليابس وللبعض النوازل
من الرأس على الرئة وربما عرض للمبلغمين والنساء
اختلاف الدم لرطوبة مزاجهم ولكثرة النوازل من
رؤوسهم وللصفراويين الرمد اليابس لسخونة لحمهم
ويبوستهِ وللطاعنين في السن النوازل التي قد تميت
البعض وتحدث في البعض الآخر شلل الجانب الايمن
او الايسر لاسترخاء عروقهم وانتهاكها لأن الشتاء اذا
كان جنوبيًّا فلا الدم ولا العروق تشتد في بدن مسخن
واذا ورد على هذا الشتاء ربيع شمالي يابس وبارد
فالدماغ عند دخول هذا الفصل الاخير يشتد ويتيبس

اذ كان يجب ان يتحلل و يتنقى بالزكام والبحوحة واخيرًا
اذا دخل الصيف وهجم الحر وتنير الطقس فجأة فتتولد
عند ذلك الامراض المذكورة آنفًا ويقل تأثير هذه
التغيرات في البلدان المعرضة للشمس والرياح والتي
مياهها جيدة ويكثر في البلدان التي موقعها رديء ومياهها
راكدة بطيحية فان كان الصيف يابسًا تقصر مدة
الامراض وتطول اذا كان مطيرًا ويخشى ترهل القروح
لاقل سبب ويعرض في آخر الامراض استطلاق البطن
والاستسقاء لسبب ان البطن لا يجف بسهولة فاذا كان
الصيف وكذلك الخريف مطيرًا جنوبيًا فالشتاء
ضرورةً يكون رديًا ويعرض للمبلغمين ولمن فوق
الاربعين حميات محرقة وللصفراويين ذات الجنب
وذات الرئة فان كان الصيف يابسًا شماليًا والخريف
مطيرًا جنوبيًا كثر في الشتاء الآتي الصداع وامراض

دماغية خطرة والبحوحة والزكام وفي البعض السل فان كان الطقس في الصيف والخريف شماليًا يابسًا ولم يحدث مطر في وقت طلوع الشعرى ولا في طلوع الدب كان ذلك موافقًا للمبلغمين ولاصحاب الطبائع الرطبة وللنساء وعديم الموافقة جدًا للصفراويين لانهُ يزيد يبوستهم فيولد فيهم الرمد اليابس والحميات الحادة الطويلة وفي البعض ايضًا امراضًا سوداوية لتحلل اللطيف من الصفراء وبقاء الكثيف اللذّاع وكذلك يحصل في الدم وذلك سبب الامراض في الصفراويين واما المبلغمون فكل ذلك يوافقهم جدًا فان بدنهم ييبس ولا يدخل عليهم الشتاء حتى يكونوا قد تنقوا من الرطوبات المالئة ابدانهم

١١ ففحص مجرى فصول السنة على هذه الكيفية مع التأمل يفيد لمعرفة اكثر ما سيحدث عن

تغيراتها وينبغي الحذر جدًّا من التغيرات العظيمة فتجتنب المساهل الّا لضرورة كبرى ويجتنب الكي والشق في الاجزاء القريبة من البطن قبل مضي عشرة ايام على الاقل واعظم التغيرات شدةً وخطرًا الانقلابان خاصةً الانقلاب الصيفي والاعتدالان خاصةً الاعتدال الخريفي وينبغي ايضًا ملاحظة طلوع الكواكب واولاً الشعرى ثم الدب وغياب الثريا لان الامراض تُعرف طبيعتها في هذه الايام خاصة فبعضها يشتد ويميت وبعضها يخف وغيرها يأخذ شكلاً آخر ومزاجًا آخر. ذلك ما يختص بالفصول

١٢ أُريد الآن ان اقابل بين آسيا واوربا وابين مقدار الفرق بينهما في كل شيء واقابل بين وجوه السكان وابيّن ان سكان الواحدة لا يشابهون سكان الاخرى بشيء ويطول بي الكلام جدًّا اذا عددت كل

الاختلافات فاقتصر على ما هو اعظم واهم بحسب ما ارى
فاقول ان اسيا تختلف اختلافًا عظيمًا عن اوروبا بطبيعة
محاصيلها وطبيعة سكانها فجميع ما في آسيا اجمل واكبر
منهُ في اوروبا واقليمها اجود وسكانها ارق طباعًا واهدأ
وسبب ذلك اعتدال فصولها فانها لموقعها بين شروقي
الشمس هي معرضة للشرق بعيدة عن البرد والاقليم
الذي لا ينحرف عن الاعتدال انما تكثر محاصيلهُ وتجود
واسيا ليست واحدة في كل الجهات فما كان منها
واقعًا متوسطًا بين الحر والبرد كان كثير الاثمار
جميل الاشجار صافي الهواء جيد الماء مطرًا كان
ام ماءَ ينابيع اذ ليس فيهِ حرٌّ زائد يحرقهُ ولا قلة ماء
تيبسهُ ولا بردقارس يتعبهُ ولما كان دائم الرطوبة
بسبب الامطار الغزيرة والثلج كانت ارضهُ تعطي ثمرًا
كثيرًا مزروعًا كان او من النباتات التي تنبتها الارض

من نفسها والتي يصلح السكان خواصها البرية امّا
بالتربية واما بنقلها الى ارض صالحة ويستخدمونها
لغرضهم وتنمو المواشي جدًّا في هذا الصقع ويكثر نتاجها
واهلهُ سمان ويوصفون بجمال الصورة واعتدال القامة
وقلما يختلف بعضهم عن بعض في القدر والشكل فمثل
هذا الاقليم ايامهُ اشبه بايام الربيع لاعتدال فصولهِ انما
ليس لسكانهِ شجاعة الرجال ولا الصبر على المشقة ولا
الثبات في الاعمال ولا علو الهمة وطنيًّا كان اصلهم ام
غريبًا ويغلب فيهم حب اللذات على كل شيء ...
ولذلك كانت الحيوانات تختلف اشكالها فهذا على ما
يظهر لي حال المصريين وسكان ليبيا (١)

١٣ واما سكان البلدان الواقعة عن

(١) قولهُ ولذلك الى آخر الجملة غير مرتبط بما قبلهُ ويستدل
من ذلك على انهُ تابع لكلام مفقود عبرنا عنهُ بالنقط كما ترى

يمين شروق الشمس الشتوي حتى بالوس ميوتيدس (٢) (وهو الحد الفاصل بين اسيا واوروبا) فيشابه بعضهم بعضاً اقل من الذين تقدموا لاختلاف فصولهم وطبيعة اقاليمهم وما يقال عن السكان يقال ايضاً عن الارض فحيثما كانت تغيرات الفصول اعظم واشد كانت البلاد اكثر استيحاشاً واقل استواءً تكثر فيها الجبال والاشجار والسهول والغياض وبالضد من ذلك البلاد التي فصولها ليس يعرض لها تغيرات عظيمة فانها تتشابه جداً واذا نظرنا الى السكان رأيناهم كذلك ايضاً فمنهم من هو في طبيعتهِ اشبه بالبلاد الرطبة ذات الجبال والاشجار ومنهم من هو اشبه بالارض اليابسة الرقيقة ومنهم من هو اشبه بارض كثيرة الغياض ومنهم من هو اشبه بسهول جرداء قاحلة لان الفصول التي تغير

---

(٢) بحر ازوف اليوم

اشكال البدن مختلف بعضها عن بعض وكلما عظم هذا الاختلاف كان الفرق بين البشر في الصورة عظيماً

١٤ اني اغض النظر عن الامم التي تختلف قليلاً فيما بينها واقتصر على ذكر التباينات الجسمية الناشئة اما من الطبيعة واما من العادة واذكر اولاً جيل الميكروسفال[٢] فان هذا الجيل لا يوجد جيلٌ يشبههُ في تكوين الرأس وفي الاصل كانت العادة سبباً لطولهِ ثم صار للطبيعة يد في ذلك واصل هذه العادة انهم يعتبرون طول الرأس من علامات النبالة وهذه طريقتهم فيهِ فأَول ما يولد الطفل اذ تكون اعضاؤُهُ مسترخية ورأْسهُ ليناً يضغطون الراس بين اليدين حتى يتطاول ويشدونهُ بربط وآلات مناسبة يفقد بها شكلهُ الكروي وتزيد في طولهِ وهذا التكوين نشأَ في الاصل عن

(٢) ذو الرأْس المتطاول

العادة ثم صار مع الزمان طبيعياً لا حاجة فيهِ الى العادة فان المني يأتي من كل اجزاء البدن صحيحاً من الاجزاء الصحيحة وغير صحيح من الاجزاء الغير الصحيحة فاذا كان الآباء الصلع يلدون اولاداً صلعاً وذوو العيون الزرق اولاداً بعيون زرق مثلهم والحول حولاً نظيرهم الخ فما المانع ان اناساً طوال الرووس يلدون اولاداً طوال الرؤوس نظيرهم واما اليوم فقد فقِد ذلك لان العادة قد ضاعت بمخالطة الشعوب الاخرين ذلك فيما ارى تاريخ الميكروسفال

١٥ وسكان الفاش وهم شعبٌ آخر جدير بالنظر يقيمون في بلادٍ بطيحية حارّة رطبة مشجرة كثيرة المطر غزيرتهِ في كل الفصول و يقضون حياتهم بين البطايح ومساكنهم من الخشب او القصب قائمة في وسط المياه ولا يمشون الا في المدينة وفي السوق المفتوح للغرباء

وانما ينتقلون بزوارق مصنوعة من ساقٍ واحدة من الشجر يصعدون بها وينزلون في المجاري الكثيرة ويشربون مياهًا سخينة راكدة آسنة من حرّ الشمس وآتية من المطر . والفاش نفسهُ اركد الانهر وابطأُها جريًا واثمار البلاد كلها رديئة ناقصة ليس لها طعم لكثرة الماء الذي يمنع نضجها ويغطي البلاد بالضباب على الدوام ولذلك كان سكان الفاش يختلفون عن سائر الناس فهم طوال القامات سمان جدًّا لا يرى لهم مفصل او عرق ولونهم اصفر كمن بهِ يرقان وصوتهم خشن عمّن في كل مكان آخر لان الهوا الذي يستنشقونهُ غير صحيح لكثرة الرطوبة والضباب فيهِ وليس لهم صبر على الاشغال البدنية وفصولهم لا يقع فيها تغيرات عظيمة لا بالحر ولا بالبرد والرياح الغالبة عندهم رطبة ما خلا ريحًا يسمونها سنكرون (ريح ميبس) قد تضرُّ لشدتها التي توصف

بها احيانًا لسخونتها والشمال قلما توافيهم واذا هبّت فلا تكون قوية ولا شديدة ذلك هو الفرق في الطبائع والاشكال بين سكان آسيا واوروبا

١٦ واما ضعف العزم والجبن فاذا كان اهل اسيًّا اقل نجدة للحروب وارقّ طبعًا كذلك من اهل اوربا فانما ذلك لقلة التغيرات الطارئة على فصولهم بالبرد والحر فلا يكاد يحس بالفرق بينهما فلا جرم ان العقل فيها لا يشعر باهتزازات ولا البدن باضطرابات شديدة مما يولّد في الانسان الشراسة وعدم الانقياد والحدة بخلاف الاعتدال الدائم لان ما ينبه العقل ويخرجهُ من سكونهِ انما هو الانتقال فجأةً من حال الى حالٍ . فتلك فيما ارى اسباب جُبن أهل اسيّا وزد على ذلك أيضًا الاحكام فان اعظم قسم في اسيا تحكمهُ ملوك وحيثما كان الناس عبيدًا لغيرهم فهم لا يهمهم التمرن على السلاح بل الفرار من التجند

لان الخطر غير موزع بالسواء فالرعايا يذهبون الى الحرب
ويتحملون مشاقها ويموتون عن اسيادهم ايضاً بعيدين عن
اولادهم ونسائهم واصدقائهم . واسيادهم هم الذين يجنون
ثمرة اتعابهم وشجاعتهم لمدّ شوكتهم واما هم فلا ينالهم غير
اقتحام الاخطار والموت وعدا ذلك فهم يرون ان الحرب
وتبطيل الشغل يجعلان حقولهم جرداء مرداء حتى ان
الذين خصتهم الطبيعة منهم بالقلب والشجاعة كانوا
ينصرفون عنهما بسبب الاحكام واعظم دليل على ما اقول
ان جميع الذين في اسيا من اليونان والبربرا الذين لا سادة
عليهم بل هم الذين يحكمون في انفسهم وعليها بشرائعهم
ويشتغلون لانفسهم هم بين سكانها انجدهم للحروب واقدمهم
على الخطر لانهم هم الذين يجنون ثمرة شجاعتهم ويحملون عار
جبنهم وما عدا ذلك فانك تجد أيضاً بين اهل اسيا
اختلافات فهذا اشجع وذاك اجبن واسبابها تغيرات

الفصول كما قلت في ما تقدم ذلك ما يختص باسيا

١٧ وفي اوربا شعب من الصقالب يقطن في نواحي بالوس ميوتيدس ويخلف عن سائر الشعوب هو شعب الصورمات نساؤه يركبن الخيل ويشددن القوس ويرمين السهام وهن راكبات ويقاتلن ما دمن عذارى ولا يتزوجن قبل ان يقتلن ثلاثة اعداء ولا يساكن حتى يتممن فروض الشريعة ومتى تزوجت احداهن تنقطع عن ركوب الخيل الا اذا اضطرت الامة كلها لحمل السلاح وثديهن الايمن مفقود فان امهاتهن يحمين آلة من نحاس مصنوعة لذلك ويحرقن بها الثدي المذكور وهن طفلات فيتوقف نمو الثدي وتتحول كل القوة والتغذية الى منكب الجانب المذكور وذراعه

١٨ وباقي الصقالب يتشابهون فيما بينهم بمقدار ما يختلفون عن سائر الشعوب والسبب فيهم كما في المصريين

انما هو في هؤلاء زيادة الحرّ وفي اولئك زيادة البرد وما يسمونهُ صحراء الصقالب هو سهل مخصب كثير الاعشاب مرتفع ومعتدل الرطوبة لانهُ تقطعهُ انهر كثيرة تصبُّ بعيداً عن الحتول هناك يقيم الصقالب المسمون رحّالاً لانهُ ليس لهم مساكن ثابتة فهم يقيمون في المركبات واصغر هذه المركبات لهُ اربع عجلات ولغيرهِ ست وهي مجللة بقماش من الصوف ومبنية كالبيوت وبعضها ليس فيهِ سوى غرفة واحدة وبعضها ثلاث وهي منيعة لا ينفذها المطر ولا الثلج ولا الرياح وبعضها يجرهُ زوجان او ثلاثة من البقر العديم القرون وبسبب عدم فرونهِ البرد فالنساء يقمنَ في هذه المركبات والرجال يرافقونهنَّ على الخيل وتتبعهم اغنامهم وابقارهم وخيولهم ويقيمون في المكان ما دام فيهِ من المرعى ما يكفي لتغذية المواشي فاذا فرغ انتقلوا الى غيرهِ ويأكلون لحوماً مشوية ويشربون لبن الخيل

ويصنعون منهُ ايضًا نوعًا من الجبن يسمّى هيباس تلك هي
عوائدهم وجنس معيشتهم

١٩ بقي علينا ان نتكلم عن الفصول وعن
اوجه الفرق بين الصقالب وسائر الناس وعن مشابهتهم
بعضهم لبعض كالمصريين وعن قلة نسلهم وعن صغر
حيواناتهم وقلتها فبلاد الصقالب واقعة تحت الدب
وتحت جبال ريفيس من حيث تهب ريح الشمال
والشمس لا تقترب منها الّا في الانقلاب الصيفي وعند
ذلك لا تسخنها الّا قليلاً وزمنًا قصيرًا والرياح التي
تعصف من الجهات الحارة لا توافيها الّا نادرًا اوتكون
ضعيفة وبا لضد من ذلك يوافيها من الشمال رياح باردة
بسبب الثلج والجليد والرطوبة التي لا تنقطع عن جبال
رلفيس وهذا ما يدع هذه الجبال غير صالحة للسكنى.
ويغطي ضواحيها ضباب كثيف طول النهار والناس

يقيمون في هذه الضواحي شتاؤُها طويل وصيفها قصير
وإيامهُ غير حارة وهذه الضواحي مرتفعة ومعرّاة وليس
فيها جبال وانما تسير صُعُدًا حتى تصل الى تحت الدب
وحيواناتها ليست كبيرة انما هي ذات قدٍ يمكنها من
الالتجاء تحت الارض والذي يمنع نموها انما هو برد الشتاء
وجدب الارض فلا تجد فيهِ غذاء ولا ملجأً واما فصولها
فيقع فيها تغيرات عظيمة او شديدة لذلك قلما تختلف
بعضها عن بعض وهذا هو سبب مشابهة الصقالب
بعضهم لبعض لان طعامهم في الصيف والشتاء واحد
وكساؤُهم واحد ويتنفسون هواء رطبًا كثيفًا ويشربون
مياه الثلج والجليد وهم بعيدون في احوال حياتهم عن
التعب وانهُ يستحيل ان يشتغل البدن والنفس كثيرًا
في مكان لا تكون تغيرات فصولهِ عظيمة لذلك كان
الصقالب ضرورة ضخامًا سمنهم يحجب مفاصلهم وابدانهم

رطبة مسترخية وتجاويفهم ولاسيما السفلى ملآنه رطوبة لانه لا يمكن ان ييبس البطن في مثل هذه البلاد ومع هذا المزاج وتحت هذا الاقليم فسمنهم وبضاضة جلدهم يجعلانهم متشابهين بعضهم لبعض رجالهم لرجالهم ونساؤهم لنسائهم لانه لما كانت فصولهم تكاد تكون واحدة لم يكن المني يحصل في تجمده فساد او تغير الّا لآفة او مرض

٢٠ وهنا دليل واضح على رطوبة ابدانهم وهو ان اكثرهم وهكذا جميع القبائل الرحاله م يكوون على مناكبهم وذرعانهم ومعاصمهم وصدورهم واوراكهم وقطنهم لرطوبة بدنهم ورخاوته لا لسبب آخر وتلك الرخاوة تمنعهم من شد القوس ولا تدع لمناكبهم قدرة على رمي السهم واما الكي فيذهب بزيادة الرطوبة من المفاصل ويشد اطرافهم ويزيدها تغذية وبروزا . . . ما سبب استرخاء ابدانهم وضخامتهم وقصرهم فاولاً انهم لا يستعملون

القماط كما في بلاد مصر ولا يريدون هذه العادة ليحسن جلوسهم على ظهور الخيل وثانيًا لعيشتهم التي يلبثون فيها دائمًا ساكنين والصبيان ماداموا غير قادرين على الركوب يبقون اكثر اوقاتهم في المركبات قاعدين ولا يمشون على ارجلهم الّا قليلًا لانهم دائمًا في الرحيل والتطواف. واما النساء ففي غاية الرطوبة والبلادة ولون الصقالب احمر مسمرّ بسبب البرد فان الشمس لا توافيهم شديدة فيحترق بياض الجلد بالبرد فيحمر

٢١ فمثل هذه الطبائع لا تكون كثيرة الولد اما الرجال فلانهم ضعاف الباه لرطوبة مزاجهم واسترخاء بطنهم وبرودته وذلك مما يجعلهم غير صالحين للتناسل ثم انهم لركوبهم المستمر يتعبون فيفقدون هذه القوة فتلك هي اسباب قلة نسل الرجال واما النساء فلانهنّ سمان الابدان رطابها فليس في امكان الرحم ان يجذب المني لان الطمث

فيهنّ غير منتظم وقليل تفصلهُ فترات طويلة ولان فم الرحم
مسدود بالدهن فلا يقبل الزرع . وزد على ذلك كسلهنّ
وسمنهنّ وبرودة بطنهنّ واسترخاءه فاجتماع هذه لاسباب
جملة تجعل الصقالب ضرورةً قليلي النسل وجواريهنّ
السود دليل عظيم على صحة هذا التعليل فانهنّ لا يجتمعن
برجل حتى يحبلنَ وذلك لانهنّ يشتغلنَ وهنّ هزل
من سيداتهنّ

٣٢ وليعلم ان بين الصقالب رجالاً كثيرين
فاقدي قوة الباه فيقاصون انفسهم بتعاطيهم اشغال النساء
ويتكلمون نظيرهنّ ويسمونهم مؤنثين وهم ينسبون سبب
هذا الضعف الى الآلهة فيكرمون هؤلاء الرجال
ويعبدونهم لان كلاً منهم يخاف على نفسهِ ان يقع في هذه
العلة واما انا فارى ان هذا المرض آتٍ من الاله كسائر
الامراض فليس منها ما هو الهي او بشري اكثر من الآخر

بل كلها متشابهة وكلها الهية وكل مرض له كهذا المرض سبب طبيعي وبدون سبب طبيعي ليس يكون شيء وهذه فيما ارى كيفية حصول هذا الضعف فانهُ نتيجة ركوب الصقالب المستمر فان ذلك يسبب فيهم احتقانات في المفاصل لاستمرار تدلي رجليهم عن ظهور الخيل وربما اصابهم من ذلك أيضًا القرح وامتداد الورك اذا اشتدّ بهم ويعالجون ضعفهم كما ياتي وهوانهم في اول العلة يفصدون الوريد الكائن وراء احدى الاذنين فينعسون بسبب الضعف الناشئ عن سيلان الدم وينامون ثم يهبون من رقادهم بعضهم صحيحًا وبعضهم لا وأرى ان هذا العلاج مفسد للمني لانهُ يوجد اوردة خلف الاذنين اذا قُطِعَت فقد المقطوعة فيهم قوّة الباه ويظهر لي انها هي التي تفصد ثم يقربون النساء بعد ذلك فان لم يستطيعوا المباضعة ففي المرة الاولى قلما يهتمون ويرتاحون لكن اذا وقع

لهم ذلك مرتين او ثلاث مرات او اكثر فيتصورون انهم
مذنبون ضد الاله الذي ينسبون له علتهم فعند ذلك يفشون
ضعفهم ويلبسون ثياب النساء و يعيشون نظيرهنَّ
ويشتغلون اشغالهنَّ وهذا المرض في الصقالب لا يعرض
للصعاليك بل للاغنياء ذوي الاقتدار بالجاه والمال
لركوبهم الخيل وانما كان قليلاً في الفقراء لعدم ركوبهم. ثم لو
كان هذا المرض الهيًّا اكثر من سائر الامراض لما وجب ان
يختص باعظم الصقالب جاهًا وثروةً بل ان يتساووا فيه
جميعهم بل بالحري ان يختص بالفقراء الذين لضيق ذات
يدهم لا ينحرون ولا يضحون قط هذا ان صح ان الالهة تسرُّ
بقرابين البشر وتجزل عليهم النعم لاجلها لان الاغنياء ذوو
اقتدار على نحر الهدايا وتقريب القرابين واما الفقراء ففقرهم
يمنعهم من ان يصنعوا نظيرهم وربما رموا الالهة بانهم علة
فقرهم فكان يجب ان يقع القصاص على الفقراء لا الاغنياء

فكل ذلك كما قلت آنفًا الهيّ كثيره فان كل شيء حادث بمقتضى النواميس الطبيعية والمرض الذي فيه كلامنا يتولد في الصقالب من السبب الذي ذكرته وهكذا ايضًا في سائر الناس فحيثما يكون ركوب الخيل يوميًا يعرض لكثيرين ورم المفاصل وعرق النسا والنقرس ويصيرون غير صالحين للتناسل فهذه العلل تعرض للصقالب وتجعلهم اضعف الرجال وزد على ذلك انهم يلبسون السراويل وانهم يكادون ان يكونوا دائمًا على ظهور الخيل فلا يستطعيون ارسال اليد الى الاعضاء الطبيعية وانهم منصرفون عن شهوة الجماع بسبب البرد والتعب فلا يحاولونهُ حتى يكونوا قد فقدوا قوة الباه ذلك ما اردت بيانهُ عن امة الصقالب.

٢٣ واما باقي امم اوروبا فيختلف بعضهم عن بعض في القد والتكوين وهذه الاختلافات ناشئة عن

اختلافات الفصول فانها عظيمة ودائمة فالحر شديد والشتاء بارد والامطار غزيرة ثم يرد يبس طويل ورياح تزيد التغيرات الجوية وتنوعها فلا جرم يؤثر ذلك في النسل فيختلف تكوين الجنين ولا يكون واحداً في الصيف والشتاء والمطر والقيظ ولذلك فيما ارى كان اهل اوروبا يختلفون في الصورة فيما بينهم اكثر من اهل آسيا وكان سكان المدينة الواحدة يختلفون كذلك في القامة لان تكوين الجنين يتغير في اقليم تكثر فيه اختلافات الفصول اكثر من اقليم تتشابه فصوله ومثل ذلك يحصل ايضاً في الاخلاق فان في مثل هذه الطبائع تغلب الاستعدادات الشرسة والخشونة والغضب لان الاهتزازات الدائمة الناشئة عن الاقليم تكسب الخلق خشونةً وتنزع منهُ اللين والدعة لذلك كان اهل اوروبا كما اظن اشجع من سكان آسيا لان الحال الواحد اذا دام ولّد الخمول والاقليم المتغير ينشط

البدن والنفس معًا واذا كان السكون والكسل يربيان الجبن فلا جرم ان الحركة والعمل يربيان الشجاعة لذلك كان اهل اوروبا اشد نجدةً للحروب وكذلك بسبب الاحكام ايضًا لانهم ليسوا كاهل آسيا تحكمهم ملوك والناس الخاضعون للحكم الملكي يفقدون الشجاعة ضرورةً كما قلت في ما تقدم لان نفوسهم تكون مستعبدة فقلما يهمهم التعرض للخطر لمدشوكة غيرهم واما اهل اوروبا فتحكمهم شرائعهم لذلك هم اذا رأوا الخطر محدقًا بهم اقدموا عليه لاجل مصلحتهم لا لاجل مصلحة غيرهم واستقبلوهُ بنفوس راضية ورموا بانفسهم للاقدار غير هائبين لان النصر عائدة عليهم وعليه فالشرائع شأنها غير قليل في توليد الشجاعة . ذلك هو النظر العام في اوروبا بالمقابلة مع آسيا

٢٤ وفي اوروبا ايضًا شعوبٌ يختلف بعضهم عن بعض في القد والشكل والشجاعة للاسباب التي

ذكرتها آنفاً والتي أُريد اسهاب الكلام عليها اكثرفان سكان بلادٍ جبلية صعبة مرتفعة كثيرة الماء عظيمة اختلافات الفصول هم طوال القامة اصحاب ابدان قوية تصلح للشغل ولافعال الشجاعة وايضاً الاستعداد للشراسة والتوحش في مثل هذه الطبائع غير قليل ·
وسكان بلادٍ غائرة ذات غياض شديدة الحر تغلب فيها الرياح الحارّة على الباردة ومياه الشراب فيها سخينة هم في الغالب ليسوا كباراً ولا متناسبين جدًّا بل قصار ضخام لحام وشعرهم اسود غالبًا مايل الى السمرة اكثر من البياض ومزاجهم بلغمي اكثر مما هو صفراوي وهم من طبعهم ليسوا شجعانًا جدًّا ولا ذوي اقتدار على العمل انما تساعدهم احكامهم فتولد في نفوسهم هاتين الصفتين . وسكان بلادٍ تقطعها انهار تذهب بالماء الراكد وبماء المطر تكون صحتهم جيدة ولونهم حسنًا والّا

فان لم تكن ذات انهار وكانوا يشربون مياه الينابيع ومياهاً
راكدة بطيحية فيكونون عظام البطون ضخام الاطحلة
وسكان بلادٍ مرتفعة رطبة متسلطة عليها الرياح
يكونون طوال القامات متشابهين جداً طباعهم أرق
واقل نهوضاً وسكان ارض خفيفة قاحلة عديمة الماء
فصولها غير معتدلة يكون بدنهم يابساً عصبياً ولونهم الى
الشقرة اكثر من السمرة وطبعهم الى العجب وعدم الانقياد
لانهُ حيث يشتد اختلاف الفصول يشتد كذلك
الاختلاف في عادة البدن وفي الطبع والمزاج فهذه هي
الاسباب التي تغير طبيعة الانسان اشد تغيير ثم تأتي
التربة التي يؤخذ منها الغذاء والمياه التي تستعمل وبالجملة
فانك ترى على الاطلاق ان شكل البدن واستعدادات
النفس موافقة لطبيعة المكان فحيثما كانت التربة مخصبة
ليّنة كثيرة المياه والمياه غير عميقة سخنة في الصيف باردة

في الشتاء والفصول معتدلة كان السكان لحاماً ضعافاً
وابدانهم رطبة وطباعهم فاترة وغالباً ليس عندهم شجاعة
في النفس يتولاهم الاهمال والخمول وليس لعقلهم الغليظ
ذكاء ولا فطنة في الصنائع فاذا كانت التربة جرداء
غير محمية محسوءة متعبة بقساوة الشتاء ومحترقة بحرارة
الشمس كانت امزجة سكانها شديدة يابسة ومفاصلهم
باردة وابدانهم عصبية كثيرة الشعر ويغلب فيهم النشاط
والذكاء والحرص وكذلك العجب وعدم الانقياد وهم
الى الشراسة اقرب من اللين ويكونون اصحاب نباهة
وفطنة في الصنائع وشجعاناً في الحروب وبالجملة فان
كل ما تنبتهُ الارض مطابقٌ لها فهذه اشد الاحوال
المتقابلة المتعلقة بالخلق والاخلاق وبالقياس على ما
ذكر يحكم على ما لم يُذكَر بدون خوف الغلط

انتهى

